

وكان منظرهم قد جعلنا نشعر بأننا ما نحن الا متسكعين وتافهين ومجرد صعاليك سفلة .
ثم اعقبهم أعرج يمر بنا وهو يدمغ الرمل الرطب برأس رجله الخشبية وعكازيه ثقوبيا .
تضاحك الرجل ، لسبب ما ، لنا كما لو كان يعتذر ، وغاص يتقافز في البركة ، في نفس
اللحظة التي قفزت فيها الفكرة لدينا بأنه كان ينبغي علينا في الواقع ان نقترح عليسه
العبور من حول البركة ، او على العموم ، ابقاءه هنا . قزم اخر مر ، وكان قد هم ، عندما
وصلنا ، بالصراخ ، ولكنه راح يتنفس بصعوبة وهو يبتلع ريقه ، لكي لا يبصقه علينا ، او
لكي يفسح ، ربما ، مجالاً لصرخته ، ولكنه اكتفى بهزة قوية من يديه تفسر - تنسدر -
تطلب - تطلب ، وتنهذ عميقا ، ثم عاد وتنهذ ومر . تقدم من ثم اربعة عمي ، كل يده
على كتف سابقه ، وبالاخرى تلمسوا الطريق جاھدين بعضيهم ، محارهم تشخص الى
الاعلى نذرا ، واكثر مما ينبغي جانبا ، وكان اذانهم هي التي تقودهم . وبالإضافة الى
اصغاء العمي الخاص ، وخوف الاصطدام في الخطوة المقبلة ، كان ثمة خوف كبير وعام
ينسكب عليهم دون ان يعرفوا الى اين يذهبون وما الذي هناك في المكان الداهيين اليه ،
وما الذي يفعله الآخرون . تلمسوا وتلمسوا (أعجب كيف اهتدى واحدهم الى الآخر في
جماعة واحدة) ، حين وصلوا البركة تقدم منهم شخص ما وامسك بيد الاول ، الذي هز
رأسه العثنوني مستجيبا له بجهد اصغائي متزايد ، وقال لهم : « أقعدو هون » .
فتراجعوا الى الخلف حتى حاجز الطريق واقعدوا حيث وقفوا ، قادحين زناد افكارهم
لاذراك ما الذي يحدث . ومر عجوز اخر محدودب حتى الانحناء فأجلسوه الى جانب
العميان . عنما جو من التسول ، والصديد والصرع ، ولم يكن ينقصنا سوى النحيب
ورحمة تخلصنا من الموت .

- « اي قرف هنا ! » قال شلومو .

- « فليموتوا افضل لهم ! » قال يهودا .

- « ما اكثر ما لديهم من العمي والعرج في هذه القرية ! » ، قال شلومو .

- « لقد فر الآخرون ، وتركوهم لنا » ، قال يهودا . « ولكن الحبل لا بد لاحق بالدلو
الآن ، فيعودون الى مالكيهم » .

- « ما لنا ولكل هذه الورطة » ، اندفعت الكلمات من فمي بلهجة احتجاجية اكثر مما
أملت .

- « صحيح » ، وافقني شلومو ، « عشر معارك افضل لي من هذه الورطة » .

- « ما بكما ؟ » دمدم يهودا ، وهو يكشف القطع الوحلية المتجمدة بأظافره . « ما الذي
نفعله بهم ؟ انقتلهم ؟ كل ما في الامر اننا ننقلهم الى مناطقهم . فليجلسوا هناك اذن
وينتظروا . وهذا جميل جدا من جانبنا . اذ لا يوجد مكان واحد في العالم حيث يعاملونهم
فيه هكذا . وبعض النظر عن ذلك ، فان احدا لم يطلب اليهم بأن يبدأوا المشاكل » . تريث
قليلا ثم اضاف قائلاً بعد ان فكر مليا : « ما الذي سيحل بهم وما الذي سيسربون ؟ كان
عليهم ان يفكروا في ذلك قبل ان يبدأوا ! » .

- « بدأوا ماذا ؟ » قلت .

- « فلتكف أنت عن جعل نفسك صديقا كبيرا » ، قال يهودا بغضب شديد . « لقد
اشعنا النظام الآن والهدوء هنا في هذه المنطقة » .